فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

المنار

١٣١٥

يهدي الله به من يشاء ومن يضلل فما له من هاد

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق)

(صدر في يوم الخميس غرة رمضان سنة ١٣١٩ — ١٢ دسمبر (ك ١) سنة ١٩٠١)

باب المقالات

فلسفة وعرفان . في الصيام والايمان

الصوم والناس . العبادة . معرفة الله . البعث . جاهلية المدنية الاوربية . التكوين حسب العلم العصري الموافق للقرآن . الحياة والبقاء . الارواح . الحاجة الى الدين . الاسلام والمدنية . شكوى المسلمين . دعوة المرتابين الى الحق

أقبل شهر الصيام فرحّب به المؤمنون ، وتبرّم منه المنافقون ، واستهان به الزنادقة المارقون ، فالمؤمن في صيام وصلاه ، وصلة وزكاه ، وبرّ ومواساه ، وعكوف على كتاب الله ، والمنافق في كذب ومداجاه ، واسرار يخالف ما أظهره وأبداه ، يستخفي بافطاره من الناس ولا يستخفي من الله ، كأنه لا يعلم انه يبصره حيث كان ويراه ، والمارق المرتد يجاهر بالافطار ، وتمد له الموائد في نصف النهار ، فيأكل الطعام ويشرب العقار ، ويفجر مع امثاله من الفجار ، ضلال مع اصرار ، لا ندم يعقبه ولا استغفار ، اولئك هم الفاسقون ، «كلا سوف يعلمون ثم كلا سوف يعلمون »

« قُتِلَ الانسانُ ما أكفرَهُ ، من أيّ شيءٍ خلقه ؟ من نطفةٍ خلقه فقدّره ، ثم السبيلَ يسّرَه ، ثم أماته فأقبرَهُ ، ثم اذا شاء أنشرَه ، كلاّ لمّا يقضِ ما أمره ، » أمره بالصلاة فكسل ، وأمره بالزكاة فبخل ، وأمره بالصوم فشرب واكل ، ولو عرف الله ، لآثر طاعته على شهوته وهواه ، ولو عرف نفسه لعرف ربّه ، وابتغى رضوانه وقربه ، وارتقى بذلك عن اللذة الحسية البهيمية ، الى اللذة الروحانية الانسانية ، فصلى طلباً لمرضاته ، وتلذذاً بمناجاته ، وصام ابتغاء وجه ربه الأعلى ، الذي يعلم الجهر وأخفى ، « كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون »

نعم لكل موجود ممكن وجهان — وجهٌ الى عالم الكون والفساد الذي تفنى عن قريب صوره ، ويمحى أثره ، ووجهٌ الى الوجود الحق الذي استفاد وجوده من وجوده ، واستمدّ ما به بقاؤه من كرمه وجوده ، اذ هو « الذي أعطى كل شيءٍ خلقهُ ثمّ هدى » ، « أيحسبُ الإنسان أنْ يتركَ سُدًى ، ألمْ يكُ نطفةً من مَنيٍّ يُمْنَى ، ثم كان علقةً فخلقَ فسوّى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ، أليس ذلك بقادرٍ على أن يحيي الموتى ، ؟

بلى . ان الكيماوي يحلل بعض الاجسام المركبة ويرجعها الى عناصرها البسيطة فتراها قد فنيت وتلاشت ثم يعيدها بالتركيب الى شكلها الأول فتراها خلقاً جديداً — هذا والكيماويُّ رجل مثلك يشكو الجهل والضعف « وما اوتيتم من العلم الا قليلاً » أفرأيت الحيَّ الذي استمد الحياة منه كل الاحياء ، القيُّوم الذي قامت بقدرته الأرض والسماء ، يعجز عن فعل ذلك بك وهو الفعّال لما يريد « أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لَبْس من خلق جديد »

هؤلاء الزنادقة المرتابون فى النشأة الأخرى الذين تركوا الصوم والصلاة واتبعوا الشهوات يتوكئون فى هذا العصر على العلم الطبيعي فى ارتيابهم أو جحودهم وهم أعرق فى الجهل به من امثالهم فى زمن الجاهلية الاولى فان علمهم الطبيعي ينطق بأن العدم المحض محال ، وان الاعدام والايجاد ابطال صور واشكال وتجديد صور واشكال ، وان هذه الكواكب السماوية وهذه الارض كانت كلها مادة واحدة منتشرة كالدخان والهباء ثم انفتق رتقها فكانت أجراماً كروية متعددة ثم نشأ فى هذه الارض وهى احداها ما نراه فيها من العوالم الحية وغير الحية . وكان كل ذلك الابداع والاحكام ، بترتيب كامل ونظام ، يدل على انه صادر عن علم وحكمة ، وارادة وقدرة ، « أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون »

عرفوا قليلا من ظواهر اشكال هذه المخلوقات وقواها وخواصها وعرفوا أن اعلاها واكملها المخلوقات الحية وان اكمل الاحياء منها الانسان أفلا يدلهم هذا على ان الحياة التى بها قوام اكمل المخلوقات ، هى اكمل الموجودات ، وعلى ان كمالها فى مراتب الوجود بالنشوء والارتقاء يدل على رسوخها فيه ؟ واذا عرفوا هذا وضموه الى علمهم بان اجزاء المادة التى لا حياة لها لاتقبل عدم المحض وانما تتحل منها صورة فتدخل أجزاؤها فى تكوين صورة اخرى من المخلوقات الحية — الا ينتج لهم مجموع هذه المعارف ان الحياة التى تلابس المادة الميتة فتجعلها خلقاً جديداً تنمو وترتقي أجدر بالبقاء ، واولى بالارتقاء ، لا سيما هذا الانسان ، الذى هو اكمل ما فى هذه الاكوان ، بل « والتين والزيتون ، وطورِ سينين ، لقد خلقنا

الانسان فى احسن تقويم . ثم رَدَدناه أسفل سافلين . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجرٌ غير ممنون ، فما يكذّبك بعدُ بالدين ، أليس الله باحكم الحاكمين »

حياة الاحياء معلومة بالضرورة لا تحتاج الى دليل . وان ما به الحياة مجهول فى كنهه وحقيقته معلوم بأثره . وان اكمل مراتب الحياة واعلى درجاتها هو ما كان من اثره العلم والحكمة والارادة وهو مايسمى باللغة العربية روحاً . وان أفراد الارواح متفاوتة فى الارتقاء كما ان أنواع جنسها (وهو مابه الحياة) متفاوتة كما قلنا آنفاً . وان اعلى الارواح رتبة واكملها هو ما كانت علومه ومعارفه اعلى واكمل . وان اكمل المعارف والعلوم هو ما كان موضوعه اعلى واكمل ، واثره انفع وافضل ، وان ذلك هو معرفة الله تعالى الذى منه مبدأ كل هذه الوجودات واليه مرجعها اذ هو الحيُّ القيوم بنفسه الذى حيي وقام به غيره لان قيام الاشياء وثبوتها وحياة الحيّ منها لم يكن بالمصادفة والاتفاق ولا يصح أن يكون علة لنفسه لئلا يكون سابقاً عليها ولا ان يكون سببه عدمياً لان العدم لا يتصور فكيف يخلق ويُصوِّر ؟ وبلى معرفة الله تعالى معرفة سننه فى خلقه وشرائعه التى يصلح بها امر عباده فى ارواحهم واجسادهم وهى ما يسمى العمل بها عملاً صالحاً . وانما صلاحه بكونه انفع للناس وافضل كما ثبت بالنظر والتجربة . ولهذا جعل تعالى الفلاح وهو الفوز بسعادة الدنيا والآخرة مقروناً بالايمان وهو معرفة الله تعالى وبالعمل الصالح الذى به تصلح النفوس والشؤون ، « قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون » الآيات

اذا تسنّى للانسان ان يعرف بطول الزمان وتقلب الحدثان ما به

تصلح شؤنه الدنيوية في افراده ومجموعه من غير ان يسترشد بالوحي الذي هو تعليم الهي يفيض من عين الكرم والفضل على بعض الارواح العالية التي يُعدّها الله لذلك فهل له من سبيل الى معرفة ما يصلح به الروح ليرتقي بذلك الى حياة أعلى من هذه الحياة؟ فانه يعتقد بان العدم محال وان الارتقاء سنة من سنن الوجود. ثم ان كل فرد من افراده يوقن مع ذلك بأن وجوده الحاضر سيبطل ويفنى أفلا يتعين عليه إذن ان يؤمن بنشأة اخرى وحياة ثانية كما اخبر النبيون والمرسلون «أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا تُرجعون»

الحق اقول: ان الانسان كان قريباً من العجماوات وانه لم يصعد في مراقي الوجود بهذا التدريج البطيء الا بهداية أفراد خصهم البارئ الحكيم بالالهام الصحيح واوحى اليهم روحاً من امره اقدرهم به على هداية الناس في كل طور بقدر استعدادهم. وان هؤلاء الاوربيين الذين يتوهمون هم ومقلدوهم المخدوعون بمدنيتهم انهم وصلوا الى ما وصلوا اليه من معرفة المصالح والمنافع في شؤن الحياة الدنيا بأنفسهم من غير استرشاد بشيء من الوحي قد كذبوا في وهمهم وضلوا في حسبانهم فانهم ما وصلوا الى ذلك الا بعد ما اقتبسوا من الدين اصوله ومبادئه وكثيراً من فروعه ومقاصده واعتبروا بتاريخ الانسان ايام لا هادي له الا الدين وقد صرح بعض فلاسفتهم بأنهم اخذوا استقلال الفكر واستقلال الارادة من الاسلام وهما اصل كل تقدم ونجاح. وكذلك الاعتبار بسنن الكون ونواميس الطبيعة والاعتماد على ثباتها وعدم تغييرها ولا تحويلها فهو مأخوذ من القرآن وان لم يهتد به كما يجب اهل القرآن. وقل مثل ذلك في الحكومة

الشورية وجعل الحكومة بمعرفة الامة وتحت سلطتها فهذا اصل ارتقائهم السياسي كما ان ما قبله اصل ارتقائهم العلمي وهو مأخوذ من الاسلام وان لم يعمل به المسلمون حتى صاروا حجة على دينهم وعلى كل دين كما تقدم بيانه في المنار مراراً

اذا كان كل خير أصابه الانسان في دنياه متصلا نسبه بهداية الدين فهل يستغني هذا الخلق الضعيف عن ارشاد الدين فيما يتعلق بحياته الاخرى أليس له في هذه الحياة حواس ومشاعر يستعين بها في شؤونها وليس له مثل ذلك في اعداد نفسه وتأهيلها لتلك؟ فتبصر يا من اغواه التفرنج في امرك واعلم انه قد دلاك بغرور، وقذفك في تيهور، واستعبدك للشهوات، وهبط بك الى دركة الحيوانات، فقد بأسك، وضاع وطنك وجنسك، فخسرت الدنيا والدين، وذلك هو الخسران المبين،

أنت تشكو من سوء الحال، وضياع الاستقلال، واختلال الاعمال، وتلتمس لذلك الاسباب، وتطرق للخروج منه كل باب، ولكن الانغماس في الشهوات جعل على عينيك غشاوة وفي سمعك وقراً فانت الآن لا تسمع ولا ترى فان استطعت ان تكسر من سَوْرة هذه الشهوات وتقلل من حدّها وتفلّت من عقلها وتنطلق من قيودها فتكون انساناً مستقلاً فحينئذ يسهل عليك ان تعرف كيف ذلّت امتك بعد عزها وضاعت بلادها بعد منعتها ويسهل عليك السعي في تلافي ذلك. ولا سبيل لك الى الخلاص من ذلك الرق والاستعباد الا بالدين فارجع اليه وأقم اركانه، وشيد بنيانه، وها أنت ذا في الشهر الذي شرعه الدين لتأديب الشهوات، والتغلب على العادات، وجعل النفس الأمّارة بالسوء خادمة مأمورة،

وملكة الرذائل والشرور أمةً خاضعة مقهورة ،

شرعتُ فى الكتابة قاصداً بيان فضل الصائمين ، والنعي على المفطرين من المسلمين الجغرافيين ، ثم بدا لي ان المسلم لا يفطر فى رمضان عامداً متعمداً الا اذا كان مرتاباً فى اصل الدين غير مؤمن باليوم الآخر ولهذا أطلت فيه المقال بالنسبة الى هذا المقام فمن كان مؤمناً بالله واليوم الآخر مسلّما بالدين عالماً ان فيه الفلاح والسعادة ، واسترجاع ما فقدنا من السلطان والسيادة ، فليؤدب بالصوم نفسه ويكتسب به ملكة الحكم عليها فبذلك يحفظها فى الدنيا من أكثر الامراض لانها انما تنشأ من الافراط فى الشهوات ويتبع هذا حفظ العرض والمال والاستعانة على تربية الاولاد . ويحفظها فى الآخرة بما يعطيه الصوم من النور الروحانى بمراقبة الله تعالى وحبه ، والرغبة فى رضوانه وقربه ، وبما فى الصوم من تهذيب النفس وتزكيتها واعدادها بهذا الترقي المعنوى لنعيم ذلك العالم الاخروي وقد بينا منافع الصوم الروحية والجسدية فى مقالتين نشرتا فى المجلد الثانى من المنار تحت عنوان (الصيام والتمدن) فليراجعهما من شاء (ص ٦٧٣ و ٦٩٥)

ومن كان فى شك من دينه فعليه ان يطيل البحث والسؤال ، من غير مراء ولا جدال ، ولا يغرّنه ترك أمتِه الاوربيين للدين فان الدين الذى تركوه ليس دين زمنهم ولم يكونوا يعرفوه على وجهه الذى كان عليه المسيح عليه السلام لأن دين المسيح هو دين اليهود ما نسخ على لسانه الاقليل من أحكامه وزاد فيه بعض حكم ونصائح فكان ممهداً بذلك للدين العام الذى كان أهم وظائفه البشارة به والذى قال عن صاحبه أنه روح الحق الذي يبين للناس كل شيء . ولا يغرنه أيضاً سوء حال المسلمين المخذولين الفاسدي

الاخلاق فانه ليس لهؤلاء من الاسلام الا الاسم ، ولا حظ لهم من كتابه الا التبرك بالتلاوة والرسم ، فهم بعدم القيام بحقوق القرآن كالذين قال الله تعالى فيهم « مثَلُ الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يَحملوها كمثل الحمار يَحملُ أسفاراً بئسَ القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين » والمنار قد بين بعدهم عن الاسلام في جميع أجزائه فنقم عليه بعضهم أنه يعيب المسلمين وعذره في ذلك انه يعظم الاسلام ويمدحه ويبين حقيقته وهذا يتوقف على الازراء بمن أهانوه بانتسابهم اليه حتى نفّروا الناس منه

في الايمان سعادة الآخرة وسعادة الدنيا فيا أيها الشاكّون ويا أيها الجاحدون تعالوا أبين لكم الحق واكشف لكم الشبهات عن وجهه لا تَهلِكوا وتُهلِكوا امتكم بالاسوة السيئة . اتقوا الله في انفسكم وفيمن تجرؤنهم على هدم اركان الاسلام وانتهاك حرماته وخذوا بالاحتياط ان كنتم تعقلون

﴿ السياسة والساسة ﴾

ما السياسة ومن الساسة ؟ — السياسة من جملة علوم أستاذها الفلك الدائر الذي حضر في حلقته الأولون والآخرون . واستفاد من نظامه العلماء والجاهلون . فان ارتباط المسببات بالأسباب ما عرف بادىء بدء الا بتعريف هذا الاستاذ الاعظم . وليست السياسة الا البحث عن احوال العالم المجتمع وأسباب تغيرها . واتخاذ كل طائفة أسباب السمو على غيرها بحسب اعتبارها . وما الساسة الا علماء هذه الاسباب وخطباء هذه المعاهد

قلت الفلك الدائر . ولعلي اغربت وابعدت . ولكن ليس كل إغراب